مكانة فن الكتابة والترسل في تلمسان الزيانية من خلال كتاب "رحلة المقّري إلى المغرب والمشرق".

دة. فطيمة مطهري*

مقدمة:عرفت مدينة تلمسان في عهد بني زيان ازدهارا ثقافيا وفكريا هاما، ونهضة أدبية كبيرة لم يسبق لها أن عرفتها من قبل، برزت معالمها من خلال النشاط العلمي والإنتاج الفكري الضخم والذي ترجمته حركة العلماء وشغفهم في التحصيل وانتهال العلوم وإقبالهم على الإبداع والتأليف، والذي ظهر من خلال المصنفات والكتب التي ألفت في تلك الفترة والتي تنوه عن المشاركة الفعالة لعلماء ومفكري بني زيان في مختلف العلوم العقلية والنقلية.

ومن معالم وعوامل هذه الحركة الثقافية والفكرية اهتمام ورعاية سلاطين بني زيان للفنون والآداب والعلوم، وتشجيعهم للعلماء والأدباء والفقهاء، وتقريبهم من مجالسهم وحضور دروسهم وإجراء الأرزاق عليهم، والسماح لهم بالتنقل لانتهال العلوم واستقدامها إلى بلدهم؛ فقد أحسنوا استقبال العلماء من مختلف الحواضر المغربية والأقطار الإسلامية ولا سيما منها العدوة الأندلسية، الشيء الذي جعل مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية حاضرة علمية وثقافية هامة تتوافد عليها قوافل العلماء وطلبة العلم من المشرق والمغرب للاستزادة والتحصيل والإجازة من كبار شيوخها وعلمائها.

لقد حرص سلاطين بني زيان وعلماء مدينة تلمسان على تمتين العلاقة مع أهل المغرب خاصة والمشرق والأندلس على وجه العموم، حيث تضاعف الاتصال عن طريق تبادل الرسائل وعن طريق الرحلة العلمية والحج إلى البقاع المقدسةبالحجاز والقدس مما أتاح الفرصة لدعم الروابط الثقافية والتلاقح الفكري بين علماء تلمسان ونظرائهم من حواضر المشرق والمغرب والأندلس.

فقد تحمل طلاب العلم مشقة السفر في سبيل التحصيل والتعمق في العلم والمعارف، وممن رغب من أهل تلمسان في طلب العلم والسفر من أجله وركوب صعابه، آل المقري وغيرهم من البيوتات والأسر التي أنجبت العديد من العلماء والفقهاء والأدباء ومنهم أحمد المقري في رحلته إلى المشرق

* أستاذة محاضرة ب- قسم التاريخ- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية- جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان.

والمغرب والتي من خلالها يظهر النبوغ الأدبي عامة وفن الكتابة والترسل خاصة، فما المقصود بالكتابة والترسل وما مكانتهما في تلمسان الزيانية؟ وما مظاهر نبوغ المقّري من خلال كتاب الرحلة إلى المشرق والمغرب؟

أولا- مكانة فن الكتابة والترسل في مدينة تلمسان في العهد الزياني: إن اتساع رقعة الدولة الزيانية والتقسيم الإداري الذي أحدثه سلاطينها[1] وضرورة التواصل مع الدولة القائمة آنذاك[2] جعل من البحث عن وسيلة للتواصل ضرورة حتمية يجب إيجادها ضمن أجهزة الدولة[3]، لهذا أول ما قام به مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن بن زيان هو أنه اتخذ لنفسه كتابا أي أنه استحدث خطة الكتابة[4]، فما المقصود بالكتابة وما أهميتها في الدولة الزيانية؟

الكتابة لغة: مشتقة من كتب وكتبه بمعنى خطه، والكتاب اسم لما كتب مجموعا لأنه يجمع الحروف ومنه الكتيبة لأنها تجمع الجيش[5].

أما اصطلاحا فيسميها بن خلدون صناعة الكتابة، أي صناعة المعاني والألفاظ التي تكسب صاحبها عقلا وملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات التي تغير في كمال العقل ومزيد من الفطنة[6].

والكتابة وسيلة لنقل وتبادل الأفكار والمعارف بين البشر، والاهتداء إليها خلال العهد السومري كان من أبرز اكتشافات العالم القديم، لذلك قدستها الشعوب القديمة، وأضفت عليها طابع الألوهية[7]، وباختراع الكتابة دخل الانسان مرحلة التاريخ، وكانت بذلك الحد الفاصل بين مرحلة ما قبل التاريخ والمراحل التاريخية اللاحقة[8].

لقد أخذت الكتابة مكانة رفيعة سواء في الدولة الزيانية أو في الدول المعاصرة لها أو تلك التي سبقتها، فقد جعلها القلقشندي بعد مرتبة الخلافة، لأن بها تستقيم أمور السياسة والحكم[9].

ونظرا لأهمية الكتابة، وصف أبو حمو موسى الثاني الكاتب بأنه عنوان المملكة الذي تتضح به الأمور، وأنه من الكاتب يعرف عقل السلطان وتعرف معرفته وفضله[10].

فمن خلال مراسلات السلطان، ومكاتباته، يمكننا معرفة أوضاع الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وعلاقاتها الخارجية مع مختلف الدول[11]، كما تبرز أهمية الكتابة في كونها وثائق تاريخية تقدم للباحث ما يحتاجه من مادة علمية في دراسته لأحوال البلاد والعباد، خلال فترة ما، فتكون حينها السند والدليل والبرهان على ما توصل إليه من نتائج في أبحاثه وينطق هذا على أساس الرسائل السلطانية والرسائل الاخوانية على حد سواء[12].

أما عن أسلوب الكتابة والترسل فيدخل ضمن الدراسات الأدبية التي تتناول الشعر والنثر، فقد اتفق كل من ابن خلدون وابن البناء على وحدة مفهوم الأدب، فالشعر في نظرهما هو المقول الموزون وما تبقى فهو النثر، حيث يقول الأول: "أعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر، المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى، وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنون يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام"[13].

أما الثاني فيعرف الأدب بقوله: "وينقسم القول إلى موزون مقفى وهو المنظوم، وإلى القول غير الموزون وهو المنثور ويستعمل كل واحد منهما في المخاطبات"[14].

وقسم ابن خلدون النثر وصورة التعبير إلى نثر مرسل مسجع بقوله: "وأما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا، ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا ولا يقطع فيه أجزاء، بل يرسل إرسالا من غير تعبير بقافية ولا غيرها ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم"[15]، ويقصد بذلك فن الخطابة والرسائل، ولا يخلو المنثور من أن يكون خطابة أو ترسلا أو احتجاجا أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه وضع يستعمل فيه[16].

ويكاد النثر في مدينة تلمسان في العهد الزياني ينحصر في الرسائل وعدد من الكتب التاريخية والأدبية لاندثار معظم الأغراض النثرية الأخرى وضياعها ولا سيما منها المقامات والخطب والتي ضاعت بضياع المصادر[17]، ويقول ابن الأبار في كتابه "أعتاب الكتاب" أن الأدباء استعملوا لفظ رسالة، كما استعملوا لفظ كتاب مطابقا للرسالة في مكاتباتهم الرسمية والخاصة[18] منذ عصر مبكر، فالرسالة هي تلك العبارات والألفاظ التي يحررها الكاتب في نسق فني جميل في غرض من الأغراض ويوجهها إلى شخص آخر[19].

وقد بلغ هذا الفن بمدينة تلمسان في العهد الزياني درجة كبيرة، ومنزلة هامة، حيث برزت فيه مجموعة من الكتاب من أهل تلمسان داع صيتهم في أقطار المغرب والمشرق منهم أبو بكر بن الخطاب الأندلسي الذي كان له أثر كبير في الكتابة والترسل بمدينة تلمسان في عهد يغمراسن[20].

ازدهر أيضا الشعر في العهد الزياني ازدهارا ملحوظا كغيره من العلوم والفنون المختلفة، بحيث لم يكن قول الشعر مقتصرا على الشعراء والأمراء فحسب، بل تعدى ذلك إلى الوزراء والكتاب والأطباء والفقهاء وعلية القوم[21]، وكان لموقع مدينة تلمسان بين البساتين الناظرة وطبيعتها الجميلة أثر عميق

في أحاسيس الشعراء وتفجير مواهبهم، فبرزت منهم طائفة ملأت المدينة شعرا ونظما في مختلف الأغراض تميزت بغزارتها وطول نفسها وجودة نسجها[22].

ومن خلال الرسائل المتداولة يتضح جليا أن أدباء تلمسان كانوا يمتازون بالنثر الأدبي النشيط نتيجة تشجيع السلاطين لرجال هذا الفن فشاع أسلوب السجع والمحسنات البديعية إلى حد المبالغة في المراسلات والمكاتبات والخطب، وقد أعاب عبد الرحمن بن خلدون هذه المغالاة في استعمال السجع في المراسلات السلطانية بعد أن أكد شيوع هذا الأسلوب في عصره، وذكر أنه غير صواب من جهة البلاغة ومذموم، فالواجب أن تنزه المخاطبات السلطانية عنه لأن هذا الأسلوب تباح فيه اللذوعية وخلط الجد بالهزل والإطناب في الأوصاف وضرب الأمثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو لذلك كله ضرورة في الخطاب[23] وتألق الأدباء في فن التعبير واتسع أسلوبهم بالقوة والجزالة واللغة السليمة[24].

وتنقسم الرسائل إلى عدة أنواع:

الرسائل الديوانية أو الرسمية: وهي التي تختص بمصالح الأمة وقوام الرعية حسب تعبير القلقشندي أي أنها تختص بشؤون الدولة وتمتاز بالوضوح والجمال الفني وتتقيد بشروط عددها حسب بعض الوثائق 25 شرطان منها: حفظ القرآن، الاطلاع الواسع على السنة والأخبار وحفظ الرسائل والمهارة في نظم الشعر والقدرة على الخطابة والإلمام بالعلوم اللسانية وبالبلاغة، وهذه الصفات ذكرها أبو حمو موسى في كتابه "واسطة السلوك"[25] والتي يجب أن تتوفر في كاتب النثر.

وتتضمن هذه الرسائل في عمومها مواضيع سياسية ومعاهدات تجارية بين دولة بني زيان وغيرها من الإمارات الأوروبية وبني نصر في غرناطة وبلاد المشرق، ومنها تلك التي أرسلها السلطان أبو تاشفين إلى حاكم أراغون "جامكة الثاني" والتي نصت على مشروع اتفاق هدنة بين البلدين.

الرسائل الإخوانية[26]: وقد عرفت بأسماء مختلفة منها الأخوية والاجتماعية والخاصة والأدبية والظاهر أن هذه الأسماء جميعها صحيحة لأن عبارة إخوانية أو الأخوية تدل على الرسائل التي كانت بين الإخوة والأصدقاء وأن لفظ الاجتماعية ترتبط بالمواضيع الاجتماعية مثل التهاني والتعزية والعتاب وغيرها، وتدل الرسائل الخاصة على أمور شخصية غير عامة بينما الرسائل الأدبية تدور في مجال النفس البشرية من شكر وتهنئة ومدح ووصف وترحيب بقدوم الصديق وإظهار الود له، ومنها رسائل لسان الدين ابن

الخطيب إلى أبي عبد الله بن مرزوق الخطيب ويحيى ابن خلدون، فقد كان يكاتبهما باستمرار ويرد على رسائلهما بسبب الأخوة والمودة والصداقة بينهما.

رسائل التشوق والتحية: تعرف أيضا برسائل التشوق والحنين، وكانت تتميز بظاهرة الصنعة والتكلف بالمحسنات البديعية وهي الظاهرة التي تميز بها ذلك العصر[27]، ومنها الرسالة السينية الخاصة بالتحية لأبي بكر بن خطاب الأندلسي وجهها إلى أبي حمو موسى الثاني[28]، حيث اعتنى فيها بحرف السين أكثر من اعتنائه بالمعنى[29].

رسائل التعزية: هذه الرسائل عادة ما تصف حالة النفس وتأثرها عند سماعها بفقدان أحد الأقرباء أو الأصدقاء وأحيانا تمتجز بالتهنئة خاصة إذا كان المتوفي سلطانا فيعزي ولي العهد ويهنئه في آن واحد باعتلاء العرش، كالرسالة التي وجهها ابن خطاب إلى الأمير أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بمناسبة وفاء والده واعتلائه منصة الحكم[30].

القصائد النبوية: التي كان يوجهها أصحابها مع ركب الحج إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم على شكل رسائل نثرية أو قصائد شعرية مثل القصيدة النونية التي أنشدها السلطان أبو حمو موسى الثاني، وأرسلها إلى البقاع المقدسة رفقة رسالة يطلب فيها الثواب والغفران وتيسير الأسباب[31].

إن الرسائل الديوانية والاخوانية كانت تخضع في مجملها إلى منهجية واحدة تقريبا، تبدأ بالافتتاحية ثم المضمون والخاتمة، وهي تهتم بتاريخ تلمسان وأدبها وتؤكد ذلك النماذج المتنوعة في فن الترسل الذي عرفه أدباء تلمسان في العهد الزياني وعلى رأسهم أبو عبد الله محمد المقّري الكبير والجد المتوفي سنة 759هـ/ 1359م، والذي أنشأ رسائل عديدة كانت نموذجا يحتذى به فلا يستبعد أن يكون حفيده أبو العباس أحمد المقّري قد ورث هذا الفن عن جده وتأثر بأسلوبه ونبغ في الكتابة والترسل.

ثانيا- مظاهر نبوغ المقّري في فن الكتابة والترسل: لقد ترك لنا أحمد المقري ثروة هائلة من المؤلفات التي كتبها بتلمسان وفاس ومصر والحجاز والشام في فنون الأدب والتاريخ والفقه والعقائد، وهي تقارب الأربعين تأليفا[32]، ومن مؤلفاته المطبوعة: كتاب "روضة الآس"، كتاب "أزهار الرياض"، وموسوعة "نفح الطيب"، وكتاب "فتح المتعال في وصف النعال"، ومنظومة "صناعة الدجنة"، في حين بقية أغلب مؤلفاته في حكم المخطوط والمفقود ومنها كتاب "الرحلة" هذا الذي حققه محمد بن معمر والذي رأيناه نموذجا لإبراز ازدهار فن الكتاب والترسل، ومن مظاهر ذلك

أن الكتاب احتوى على مخاطبات ومكاتبات ومساجلات ومراسلات المؤلف مع أعيان عصره وفحول الأدباء والشعراء والعلماء والفقهاء والقضاة والأمراء، ومن نماذج ذلك:

* مساجلات بين الأمير منجك بن محمد بن منجك الكبير الدمشقي[33] والمؤلف كتب لك:

فـــخرا دمـــشق على كـــل البلاد أولى البريـــة مـــعروفا وعـــرفانا
شمس من المغرب قد كانت مشارقها بل دونها الشمس يوم الفخر برهانا
المقري الـــذي في بعض أيسر ما يحوي من الفضل كل راح حيرانا[34]

*رسالة المؤلف إلى محمد بن أبي بكر[35] صاحب الزاوية الدلائية: "ولينا وسيدنا ومقيدنا ومثيتنا ومعتمدنا بعض الله في أمور الدين والدنيا الولي الناصح الصالح السني النسكي...فما عسى أن أمدح أو تغرد ورق الشكر على أفنان الثناء وتصدح...أجل أيها الأجلّ قد بنيتم أهرام المجد المتقادم وليس لما تبني يد الله هادم..."

*و يمدح ابن مرشد[36] مفتي الحرم المكي بقوله:

يا سائق الأظعا بزجي العيس أبلغ سلامي للرضى ابن عيسى
شيخ الشيوخ واحد الـــزمان مـــفتي الأنـــام عـــابد الرحمن
بحـــر العلوم جـــامع الأنحاء من خـــص الافتاء فـــي البطحاء[37]

*كما تضمن الكتاب مجموعة من القصائد والمقطوعات من نظم المؤلف وأدباء وعلماء عصره أكثرها كان في فن المدح سواء كان المؤلف مادحا أو ممدوحا، والأشعار التي نظمها المقري كان على رأسها فنا الوصف والمدح وخصوصا المدائح النبوية، فكلما كانت تقع عيناه على المشاهد الشريفة أو ختم درسا في الشمائل النبوية إلا وقام بنظم القصائد في المدح النبوي، ومما قاله في هذا المجال:

أحمد المختار في العـــلياء من خير آباء ومن أسمى الجدود
خير من جاء بوحي أو هدى أو أتى الخـــلق بتبيين الحـــدود
من به الرحمن أسرى للعلى حائزا في حظرة القدس الشهود

*وقال بمناسبة ختم الشمائل النبوية بمصر ليلة الاثنين الحادي والعشرون من رمضان سنة 1030هـ[38]:

يا مـــطاعا ويا أحل مكين عند ذي العرش ربنا الديان
إن خير الآلاء منك علينا أن هـــدينا لأفضل الأديـــان
وحبينا بـــعلم بعض حلاك الغـــر يا داعينا إلى الإيمان

*كما احتوى الكتاب مظهرا من مظاهر النشاط الثقافي للمؤلف وهو المتمثل في إجازاته النظمية والنثرية التي أجاز بها طلبته وعلماء عصره، والتي فاقت العشرين إجازة، ومن بين هؤلاء العلماء والطلبة: أبو بكر السوسي

المراكشي، تاج العارفين التونسي وأبو القاسم القيرواني...، أما عن إجازات العلماء للمؤلف فقد تضمن الكتاب إجازة واحدة وهي التي تتعلق بإجازة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوارث الصديقي المالكي المصري للمؤلف، وجاءت مطولة ومؤرخة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة 1029هـ[39]، وذكر في آخر الإجازة ما يلي: "و أجزت له بما رويته وأخذته، واستندت إليه واعتمدته عن السلف العظام والسادة الأعلام...وأعظم من إليه استندت، الإمام شمس الدين محمد الصديقي[40]، وشيخ مشايخ الاسلام أبي الحسن الصديقي[41]، والإمام محمد الرملي الشافعي[42]، وشيخ الاسلام محمد البنوفري المالكي[43]، إلى أن قسم هذه الإجازة بالحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار"[44].

*تضمن الكتاب فنونا أدبية شاعت في عصر المؤلف، وهي ظاهرة التلغيز نظما ونثرا، ومن الذي لاغزو المؤلف عالم الجزائر وفقيهها سعيد[45] قدورة في "لفظ القوس"، ولاغزه أيضا ابراهيم السحوري في "كلمة التيه"، وعلي بن أحمد الفاسي في "لفظ أمس"، ومحمد بن عبد الرحم الأعمش في "كلمة رمضان"، أما المؤلف فقد كتب لغزا في "لفظ كتاب" وأجابه عنه الفقيه عبد السلام بن الناصر الفاسي[46].

وكان التلغيز نوعا من وسائل الترفيه والتسلية والرياضة الأدبية، يتعاطاه الفقهاء والشعراء والأدباء على حد سواء.

*احتوى كتاب الرحلة أيضا معلومات تاريخية تضمنتها رسائل المؤلف إلى بعض أعلام عصره منها الرسالة التي بعثها إلى صاحب الزاوية الدلائية والرسالة التي بعثها إلى أحمد نقسيس التطواني زعيم الفئة الجهادية على عهد السعديين، ورسائل ومكاتبات كان يتبادلها مفتي مكة المكرمة وخطيبها أحمد بن عيسى المرشد مع المؤلف منها تلك المؤرخة في ذي القعدة سنة 1035هـ التي أخبره فيها عن قدوم خمسة مراكب من الهند إلى الحرمين الشريفين، وكذلك الرسالة الثانية المؤرخة في جمادى الثانية 1036هـ التي أطلع فيها بن مرشد المؤلف على أخبار الإمام المتغلب على بلاد اليمن واستيلائه على غالبها ومحاصرتها صنعاء، وآثار تلك الثورة على أهل الحرمين بسبب حرمانهم من غلالهم، هذا فضلا عما احتوته تلك الرسائل من إشادة بمكانة وسمعة المقري لدى أهل الحجاز، وتلبية جميع مطالبه من طرف حكامها وأعيانها، سيما تلك المتعلقة بوصاياه خيرا في شأن الوافدين من مصر وغيرها إلى البقاع المقدسة[47].

أما عن طريقة تحرير الرسائل ومميزاتها فنستنتج أن المقري التزم هو الآخر بالطريقة التي حددها القلقشندي في خمس مميزات وهي[48]: 1- إضافة ميم الجمع في مخاطباتهم تكريما للمكتوب إليه وإجلاله- 2- استعمال عبارة: "إنا كتبنا إليكم كتب الله لكم (كذا)"- 3- ذكر الخليفة ولدعاء له بعبارات الترضيه- 4- ذكر المكتوب إليه باسمه ضمن الرسالة- 5- تختم الرسائل في الغالب بالسلام وأحيانا بالدعاء[49].

وتبرز الميزة الأولى عند المقري حين كتب إلى شريف مكة محسن بن الحسين[50] بقوله: "...إن العبد من الشوق إلى جنابكم الكبير الذي يستنشق من تلقائه ما يزري بالعبير، ما يقصر عنه التعبير"[51].

أما الميزة الثالثة والرابعة، فتبرز من خلال قوله: "...الإمام الذي جعله الله محسنا باسمه، وفخر السلالة النبوية، ذرة الزين وقرة العين، سيدنا ومولانا الشريف محسن بن الحسين، جعل الله الأيام مقرونة بطول حياته والأنام معمورين برعاياته...وكتب له عزا لا تمطله الأيام في تقاضيه، ونصرا لا يزال مبنيا على القتح ماضيه آمين"[52].

ويذكر محمد بن معمر أن أسلوب المقري في كتاب الرحلة لا يختلف عن أسلوبه في بقية كتبه ومخطوطاته فقد حاز قصب السبق في فني المنظوم والمنثور وذلك بشهادة معاصريه[53]، فهو صاحب نثر علمي سلس التركيب سليم التعقيد قريب المعنى مجرد من أساليب الكتابة، أما نثره الفني المسجع فهو متن التركيب قوي البيان حسن الديباجة وجيد السبك، وامتاز نثره المرسل ببساطة التركيب وقصر الجمل وجزالة اللفظ، فقد كان له الفضل في تقدم فن الكتابة والترسل في وقت كاد الانتاج الفكري يقتصر على شروح الفقه ومقامات التصوف.

خاتمة: اعتبر الزيانيون فن الكتابة وظيفة سلطانية رسمية تصدر عن الحكام وتمثل شؤون الدولة ومعالمها، وتعمل على تسيير وتثبيت النظام العام، لذلك كانت تتميز بالثقة وسهولة التعبير والتقيد بالمفاهيم والعبارات الفنية والحكومية، فكان كاتب السلطان الزياني يلقب بصاحب القلم الأعلى وتمثلت مهامه في تحرير رسائل السلطان وعهوده ومعاهداته وإصدار أوامره المكتوبة، كما يقرأ عليه ما يرد إليه من رسائل وخطابات.

وتبرز أهمية الكتابة كوظيفة سلطانية في أن الخلافة لا تستقيم أمورها ولا تنتظم محاسنها إلا بوجود هذه الكتابة، فمن واجب الكاتب تقديم نصائح لإصلاح السلطان وإعمار البلاد فهو بمثابة عنوان المملكة، لهذا كانت هناك

شروط خلقية وخلقية في اختياره، ولهذا تولى أشهر الكتاب هذه الوظيفة ومنهم أبو بكر بن الخطاب، وابن خميس، ويحيى بن خلدون، وغيرهم.

كما نبغ العديد من كتاب تلمسان وأبنائها في انشاء الرسائل الاخوانية أو الأدبية والتي شملت أغراضا متنوعة من وصف وعتاب وشكر وتهنئة وتعزية وغير ذلك من المواضيع المعتادة عند الأدباء، ومن أشهرهم أبو العباس أحمد المقري الذي قال عنه المحبي في خلافة الأثر: "حافظ المغرب، جاحظ البيان، ومن لم يرتضيه في جودة القريحة، وصفاء الذهن وقوة البديهة، وكان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ومعجزا باهرا في الأدب والمحاضرات" وهذا ما يدل على نبوغ هذا الأديب في فن الكتابة والترسل وعلى مكانته في الدولة الزيانية.

الهوامش:

1- حيث قسم سلاطين الدولة الزيانية مملكتهم إل مجموعة من العمالات وعين على رأس كل واحدة منها عامل، وكان لا بد للإدارة المركزية بتلمسان من التواصل مع هؤلاء العمال لمعرفة أحوالهم، وأحوال عملاتهم، وأحوال رعيتهم، بوزياني الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، صص186- 191.

2- ومنها الدولة المرينية والدولة الحفصية ودولة بني نصر بالأندلس، ودولة المماليك بمصر، ودولة السودان الغربي، للمزيد عن علاقات الدولة الزيانية مع هذه الدول ينظر، مبخوث بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، تلمسان 2005، ص266، هوارية بكاي: العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، ماجستير، قسم التاريخ، 2008، ص190.

3-DHINA (A) les etats de l'occident musulmans au 13,14 et 15ème siècle o.p.u Alger, 1984, p-p136- 151.

4-حسين تواتي: الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية (الكتابة نموذجا) 633- 791هـ/1236- 1389م، ماجستير جامعة تلمسان، 2014، ص.97

5-ابن منظور : لسان العرب، تقديم الشيخ العلايلي، طبعة دراسات العرب، بيروت، د.ت، ج2، ص118، أبو بكر بن محمد العربي: أدب الكتاب، شرح وتعليق أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ص114، شهاب الدين النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، طبعة القاهرة، د.ت، ج7، ص1.--- 6-ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النجار، بغداد 1977، ص333، حسن عبد الواحد: صناعة الكتابة عند ضياء الدين ابن الأثير، ط1، مكتبة القاهرة، 1999، ص43.

7-محمد صغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979، Contenau (G) la civilisation phénicienne, ed, Payot, Paris, 1949, p21.ص- ص 18- 32،

8-حسين تواتي: المرجع السابق، ص88.

9-القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1963، ج1، صص51- 54.

10-أبو حمو موسى الثاني: واسطة السلوك في سياسة الملوك، تقديم عبد الرحمن عون ومحمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1982، ص85.

11- ومنها الرسالة التي رد بها الوزير هلال القطلاني على رسالة ملك أرغونة "جاكما الثاني" والتي طالب فيها بتحرير الأسرى المسيحيين الموجودين بسجون تلمسان التي تظهر لنا دور أسرى النصارى في النهوض بالمجتمع التلمساني، وحاجة السلطان الزياني لهم، حسين تواتي: المرجع السابق، ص97،

DHINA (A) Le royaume abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1erO.P.U, ENAL,Alger p 226- 227.

، كما أن الظهير السلطاني الذي أصدر السلطان يغمراسن بن زيان للعناية بالأندلسيين يبرز لنا أن هؤلاء الأندلسيين توافدوا على حواضر المغرب الاسلامي ومنها تلمسان فرارا من الاضطهاد النصراني و أن السلطان يغمراسن بن زيان رحب بهم وأهتم بأمرهم، حسين تواتي، المرجع السابق، ص98.

12-نفسه، ص99.---- 13-عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص619.

14-ابن البناء العددي: الروض المريع في صناعة البديع، تحقيق رضوان بن شقرون دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص81.

15-ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص

16-عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني (دراسة عمرانية، سياسية، اجتماعية وثقافية)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002، ج2، ص456.---- 17-نفسه، ص455.

18-ابن الأبار: أعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961، ص- ص 69-72، يحيى ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ج2، ص171.

19-عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص456.

20-التنسي: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985، ص127.

21-عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص463.

22-عبد المالك مرتاض: حركة الشعر المولدي في تلمسان في عهد أبي حمو موسى الثاني، مجلة الأصالة، العدد26، جويلية أوت، 1975، ص314.---- 23-عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 643- 644.

24-عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص456.---- 25-أبو حمو موسى : واسطة السلوك، المصدر السابق، ص85.

26-تمثل أغراض الوصف والعتاب والمدح والتهنئة والتعزية والشفاعة والتشوق والتحية وغيرها، ويمكن أن نتطلع من خلالها على تحركات أصحابها وتوجهاتهم وشيوخهم وإقامتهم والوظائف التي شغلوها، المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت، 1968، ج65، ص64/ ج2، ص121.

27-عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص461.---- 28-أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق، ص23.

29-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص461.--- 30-نفسه، ص462.--- 31-أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص23.

32-المقري : رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص.8

33-هو الأمير منجك بن محمد بن منجك بن أبي بكر بن عبد القادر بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن منجك اليوسفي الدمشقي، ولد سنة 1007هـ و تفي سنة 1080هـ، وهبه الله الذكاء وقوة الحفيظة، كان فصيح اللهجة، له ديوان شعر، أحمد المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ت، صص409- 423.---34-المقري : الرحلة، المصدر السابق، ص41.

35- هو مؤسس الزاوية الدلائية، هو الولي الأشهر أبو بكر بن محمد المعروف بحمي ابن سعيد بن أحمد بن يسري المجاطي، سكن الدلاء واتخذ هناك زاوية، فقصدها الناس من كل ناحية منهم أعلام وفقهاء كالحافظ أبي العباس المقري والحافظ أبي العباس بن يوسف الفاسي، توفي سنة 1046هـ، الناصري السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، 1954، ج2، ص76-77.

36-عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد المعروف بالمرشدي، 975- 1037هـ، مفتي الحرم المكي وعالم قطر الحجاز، وإمام المسجد الحرام منذ 1020هـ، المحبي: خلاصة الأثر، المصدر السابق، ج2، صص369-376.--

37-المقري : الرحلة، المصدر السابق، ص68.-- 38-نفسه، ص84.

39-إن جميع الإجازات الواردة في كتاب الرحلة وعددها أكثر من عشرين إجازة كانت من المؤلف لعلماء وتلاميذ عصره ممن طلبوا منه ذلك باستثناء هذه الإجازة التي طلب فيها هو الإجازة من أحمد الصديقي المصري.

40-هو شمس الدين محمد بن علي بن عبد الرحمن البكري الصديقي (930هـ- 994هـ) كان مولده ووفاته بمصر، من علماء المتصوفة، له عدة كتب منها: مختصر أبي شجاع في فقه الشافعية، ترجمان الأسرار وديوان الأبرار، الفتح المبين، ورسائل في التصوف وغيرها من العبادات، العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، 1979، ج4، ص431.

41-أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي (899- 952هـ) متصوف مصري من علماء الشافعية، كان مولده ووفاته بالقاهرة، كان يقيم عاما بمصر وعاما بمكة، ومن كتبه، تسهيل السبيل في التفسير، شرح منهاج النووي، وتحفة واهب المواهب وغيرها، العماد الحنبلي: نفسه، ج4، ص292.---- 42-محمد بن أحمد بن حمزة الملقب بشمس الدين بن شهاب الدين الرملي المنوفي المصري الشهير بالشافعي الصغير (919هـ- 1004م)، المحبي: خلاصة الأثر، المصدر السابق، ج3، ص- ص 342- 348.

43-أبو عبد الله محمد بن سلامة البنوفري، مصري، من أعلام وأعيان فقهائها، وأحد رؤساء المذهب المالكي بها، محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر، الجزائر، د.ت، ص281.--- 44-المقري: الرحلة، المصدر السابق، ص115.

45-أبو عثمان سعيد بن قدورة مفتي مدينة الجزائر، تونسي الأصل، جزائري المولد والنشأة، أخذ عن سعيد المقري وغيره، من آثاره، شرح الصغرى، توفي سنة 1066هـ، أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ج1، ص66.

46-المقري: الرحلة، المصدر السابق، ص14.--- 47- المقري: المصدر السابق، ص14.

48-القلقشندي : المصدر السابق، ج7، ص30.--- 49- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ص248.

50-هو محسن بن الحسين بن أبي نمى شريف مكة، اختلف مع عمه بن الحسن، وقام عليه إلى أن استقل بالأمر دونه سنة 1034، وهي السنة التي توفي فيه عمه شريف مكة، إدريس بن الحسن المحبي: خلاصة الأثر، المصدر السابق، ج1، ص- ص 390- 394.---- 51-المقري: الرحلة، المصدر السابق، ص76.---- 52-نفسه، ص نفسها.--- 53-المقري: المصدر السابق، ص14، المحبي: خلاصة الأثر، المصدر السابق، ج1، ص302.

Abstract:

We wanted behind this article to highlight the status and importance of the art of writing and messaging in TlemcenAlziyaniah as a sultanic plan or job of which "Al Sairafi" has spoken the following, "The venerable, Commissioned, high-stated writing which is the one whritten in presence of royalties involving construction to other kings of the nations".

And is enough to know that the first author in Islam is the Messenger of Allah Mohammed, peace be upon him while he Contacted kings and princes and tribal leaders inviting them to convert to Islam, and Abu Bakr, may Allah be pleased with him followed his steps, and after him Omar ibn El Khatab may Allah be pleased with him who established the construction discourse, and the prosperity of writing was confirmed by the letter of Sultan Abu Musa Hamou the second to Abdul Rahman ibn Khaldun when he requested to make him a writer saying: "The pen of our dynasty and the regularity in the line of our ancestors is devoted to you for it has the impregnable rank and the highest stature" The art of writing and messaging has reached an important status thanks to the promotion of the sultans and princes, and among the writers who have gained prominence in the corners of the Orient and Al maghreb Abu El Abbas Ahmad El Mokri, who reached excellence in this art.